خُطْبَةَ جُمُعَةٍ مفرغة

بِعِنْوَانِ

(البيان لعظمة أوصاف القرآن)

لفضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

٩ رمضان ١٤٤٤ هجرية

فرغها : أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد : فإن من موجبات شكر نعمة الله سبحانه وتعالى علينا وعلى الناس ما اختص الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة من المكارم العظيمة، ومن أجلها هذا الشهر المبارك، فإنه كرامة عظيمة لهذه الأمة، فهو أفضل الشهور على الإطلاق، أوجب الله صيامه ورغب في قيامه كما دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم :"من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

وقول الله عز وجل :{فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}[البقرة:185].

وقول الله عز وجل :{وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (184) } [البقرة:184].

وله خصائص كثيرة عظيمة، أجلها أنه شهر نزل فيه كتاب الله، شهر القرآن، قال الله عز وجل :{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} ثم وصف الله القرآن بأنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فهذا الكتاب الذي أكرم الله به الأمة، هذا الكتاب في هذا الشهر نزل في هذا

الشهر، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، {حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3)}[الدخان:1،3].

ليلة القدر في رمضان{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2)} الآية.

والشاهد من ذلك : أن الله عز وجل أكرم الأمة بكرامات عظيمة في هذا الشهر، ومنها نزول القرآن فيه، ويا عباد الله إن هذه الكرامة كرامة نزول كتاب في هذا الشهر لهي كرامة هي زكاتهم، زكاهم الله بها، لو لم يتزكوا بذلك كانوا في ضلال مبين، قال الله عز وجل :{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)}[الجمعة:2].

فلا قيمة للبشرية بغير كتاب ولا حكمة ولا سنة، لا قيمة لها، كانوا أمة ضالة ممقوتة، نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب، أمة مبغوضة، إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا كما قال الله جل وعلا :{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)}[الفرقان:44].

فميزهم الله واختصهم وأكرمهم بهذا القرآن منزل في هذا الشهر، هذا الكتاب العظيم، وبهذه السنة:{يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب} هو القرآن، والحكمة وهي السنة، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، فتزكيتهم بهذا، فهذا القرآن وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن، وسماه بأسماء عظيمة في القرآن، من ذلك ما ذكر في هذه الآية{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس} كتاب هداية، هدى للناس، هدى إلى التوحيد، هدى لتزكية نفوسهم، القرآن كله توحيد، وداعي إلى التوحيد، ومدح التوحيد، وتحذير من مضادة مخالفة التوحيد، وما أعد الله لأهل التوحيد، وتحذير من الشرك المضاد والتعوذ ومن أهله، وبيان ما أعد الله لهم من الوعيد كله توحيد، من فاتحته إلى خاتمته، فهو كتاب هداية إلى توحيد الله الذي نزلت به كتبه، وأرسلت به رسله،

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:36].

وهداية لكل خلق قويم وصراط مستقيم،{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[الإسراء:9].

فما من شيء أقوم سواء كان ذلك ما يتعلق بالعبد وربه أو بين العبد ونفسه، أو بين العبد وغيره من الناس إلا وفي القرآن هدايته، هداية القرآن لمن أخذ به، يهدي للتي هي أقوم، وقوله هدى للناس يراد به الناس الذين هم مؤمنون متقون، فالقرآن هدى لمن أخذ به في الدنيا وشفيع لمن أخذ به يوم القيامة، كما في صحيح مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فإنه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ.

أصحابه، فمن كان من أصحاب القرآن فالقرآن شفيع له، وأصحابه هم الذين يقرؤونه يتعلمونه يعملون به يدعون إليه، كما فسر في حديث النواس عند مسلم:" يؤتى بالقرآن وأهله. أهله وأصحابه بمعنى واحد، الذين كانوا يعملون به في الدنيا، فالذي هو ممن يعمل بالقرآن هو صاحبه، الآخذ بالقرآن، وهو من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، تقدمه البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما، فصاحب القرآن القرآن حاج عنه، وهو حجة له لا عليه، والقرآن حجة لك لا عليك أو عليك، فهو حجة له حجة لصاحبه، وشفيع لأصحابه، لهدي المؤمنين،{الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)}[البقرة:1،2].

فهو ليس هدى للمعرضين عنه، المعرضين لا يزيدهم إلا خسارا، ولكن للمتقين، وبقدر تقوى العبد لله سبحانه وتعالى يكون هداه بالقرآن واهتداؤه به واستفادته منه في الدنيا والآخرة، وقال الله عز وجل: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)}[التوبة:124].

هذا اهتدى، المؤمن يزداد بالقرآن إيمانا وهداية،{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)}[البقرة:125].

انظر كيف زاد المؤمنين هداية وإيمانا وخيرا، وزاد أمراض القلوب مرضا إلى ما هم فيه من المرض، أي زادهم رجسا إلى رجسهم، ما ازدادوا إلا كفرا ببعدهم عنه وأعراضهم عنه وعدم عملهم به، {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (127)}[التوبة:127].

أعرضوا عنه فما ازدادوا إلا انصرافا وبعداً واعراضاً، القرآن هداية لأهل الإيمان وصفه الله بقوله :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57)}[يونس:57]

هذه أربع أوصاف للقرآن في هذه الآية.

الوصف الأول: أنه موعظة الله، يعظكم الله أن تعودوا لمثله، موعظة أعظم موعظة كتاب الله، أعظم موعظة يعظكم الله به :{وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ}[البقرة:231].

فالله أنزله عظة لنا، موعظة للمؤمنين، فلا أعظم موعظة من كتاب الله، لا أعظم موعظة ولا أعظم إصلاح للقلوب من كتاب الله، لأن الأبدان تقشعر منه لسماعه، والقلوب تلين لسماعه،:{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)}[الزمر:23].

هذا بخصوص المؤمنين، لا أعظم موعظة من كتاب الله، لو أنزل القرآن على جبال لتصدعت،{لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)}[الحشر:21].

ولهذا وصف الله المؤمنين أنهم يزدادون به إيماناً ونفعا، قال الله عز

وجل :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)}[الأنفال:2،3].

وقال :{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107)وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)}[الإسراء:107،109].

لا أعظم إصلاح للقلوب من كتاب الله ولا للأبدان أيضا، ولا للحياة، ولا للدنيا كلها لا أعظم إصلاحا من كتاب الله، لذلك كله، هذا موعظة بليغة عظيمة للعباد، ومن لا يتعظ بذلك لا ينتفع بشيء سواه، إن لم ينتفع بالقرآن ما ينتفع بشيء، إن لم ينتفع بالقرآن وصار معرضا عنه :{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (51) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (52) كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (53) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)} [المدثر:49،56].

فلا ينتفع بغير القرآن من لا ينتفع بالقرآن من لا يهتدي بالقرآن من لا يصلح حاله بالقرآن من لا يستقيم خلقه بالقرآن ودينه وتوحيده وحياته بالقرآن لن تجد له وليا مرشدا، لا حياة له ميت، موعظة من ربكم.

الصفة الثانية: وشفاء لما في الصدور، علاج للقلوب من أمراضها كلها، علاج لها، إذا حصل للقلب ميل زيغ انحراف بعد قسوة غفلة فإذا قرأ القرآن استقام القلب الصالح انتفع،{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)}

قال :{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ}[مريم:76]

قال:{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}[الفتح:4].

إصلاح للقلوب، فقلب معمور بالقرآن حي، وقرب قلب بعيد عن القرآن ميت، مثل الذي يذكر ربه والذي لا ربك مثل الحي والميت،{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}[الأنعام:122]

فلا يستوون أبدا، هذا قلب معمور بالقرآن حي، والآخر ميت، قلب بالبعيد عن القرآن ميت، يا عباد الله إن هذا القرآن حياة، ما هناك حياة حقيقية صحيحة يرضاها الله إلا به، لا حياة يرضاها الله، قال الله سبحانه وتعالى:{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا}

وقال:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}[الشورى:52].

قال ابن عباس رضي الله عنه: روح عليه تتوقف الحياة الحقيقية.

تأمل هذا التفسير الجميل روح عليه تتوقف الحياة الحقيقية، أي أن من لا عناية له بالقرآن وليس من أهله حتى وإن كان يعيش إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، روح كأرواح البهائم، لكن ما هي حياة يرضاها الله، إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، فهو روح، هذا حياة العباد، فمن لم يحيا بالقرآن ميت، من لم يحيا بالقرآن ويعيش مع القرآن حياة حياة علم وعمل ودعوة واستقامة وإجابة لرب العالمين سبحانه وتعالى ميت، وهكذا القرآن نور وصفه الله بأنه نور،{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)}[الشورى:52].

كيف تمشي كيف تسير كيف تعيش على مراد الله بغير نور؟ {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40)}[النور:40].

فيا أيها المسلم نورك هو كتاب الله، حياتك ونورك الذي تسير عليه إذا

أطفأت هذا النور كيف تمضي في شأن شؤونك، في سائر حياتك، في أقوالك وأفعالك ودينك وتوحيدك وعبادتك وأخلاقك ومعاملتك، كيف تسير، على ماذا؟ إذا أطفأت هذا النور وأعرضت عنه ليس معك بعد هذا النور إلا الظنك، إن أنت أعرضت عن حياتك هذه ونورك هذا ليس معك إلا الظنك والشقاوة في الدنيا والآخرة،{فَإِمّا يَأتِيَنّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123)}[طه:123].

هذا القرآن أمان من الضلال، وإلا تضل تضل إن لم تكن معه، أمان من الضلال، فلا يضل ولا يشقى، أنت في أمان من الضلال ما استمسكت به، علمت وعملت به، وأمان من الشقاوة في الآخرة:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (124) }[طه:124].

أنت في أمان، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" فخذوا بكتاب الله فاستمسكوا به فلن تضلوا ولن تهلكوا ما استمسكتم به.

أمان من الضلال، أمان من الهلكة، صفة عظيمة للقرآن، أمان، هذا القرآن برهان، قال الله جل وعلا:{يَا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (174) فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (175)}[النساء:175].

فهو برهان، ومن أمن بالله واعتصم به وبهذا البرهان في الصراط المستقيم مع الهداية، وهذا القرآن فرقان، فرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الهدى وأهل الضلال، فرقان وبيان للناس، الله جعل الناس على بينة:{تَبَارَكَ الّذِي نَزّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)}[الفرقان:1].

كيف تقوم النذارة إلا بهذا التفريق أن تكون على بينة تعرف هذا حق وهذا باطل، بماذا ؟ بكتاب الله، الله بين لك، خلقك وبين لك:{يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ (26)}[النساء:26].

هذا أراده الله، ما جعلنا على عماية، ولهذا مبين، بين، بيان، حجة، برهان، نور، كل هذه أوصاف القرآن،{ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} القرآن بلاغك بلغك الله إياه وهو بلاغك بهذه الدنيا إلى الجنة:{هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ}[إبراهيم:52].

بلاغ إن لم تتبلغ به فما عندك بلاغ، كيف تصل إلى الله عز وجل؟ بلاغ للناس، أي أنه بيان لهم وحجة، ومع ذلك يتبلغون به ويسيرون به إلى الله، بلاغ قال سبحانه وتعالى :{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ} أي هذا بلاغ{فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)}[الأحقاف:35].

بعد هذا البلاغ الذي بلغكم الله إياه وجعله بلاغاً لكم إلى جنته إن أخذتم به ما بعد ذلك إلا الهلكة، فهل يهلك إلا القوم الفاسقون، {هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)}[إبراهيم:52].

القرآن هو الصراط المستقيم، قال جل وعلا:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ}[الأنعام:153].

أي اتبعوا القرآن، الإسلام هو الصراط، والقرآن هو الصراط فاتبعوه، {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (3)}[الأعراف:3].

فاتبعوه، ثم أبان فائدة اتباعه قال:{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ}

فتفرق بكم عن سبيله : أي إن لم تتبعوا القرآن تشتتم تفرقتم عن الصراط المستقيم ضللتم، واعتصموا بحبل الله، القرآن حبل الله من اعتصم به نجا:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}[آل عمران:103].

فالواجب الاعتصام به بهذا الحبل وبهذا الصراط المستقيم صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، وحبل الله المتين، هذا كتاب الله، إنه لقرآن كما قال الله سبحانه وتعالى واصفا له بالكرم:{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(77)}[الواقعة:75،77].

يعني ما في خير إلا وهو من كرم الله سبحانه وتعالى في هذا الكتاب، كريم ،يمتد منه الناس جميع ما يحتاجونه من خير، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة:3].

كريم في إصلاح القلوب، في إصلاح الأخلاق، في إصلاح المعاملات، في إصلاح كل شيء كريم في بركاته، { وهذا كتاب أنزله مبارك} من كرم القرآن بركته، فيه بركة، الحرف بعشرة أحرف بعشر حسنات، فيه بركة على الهداية، بركة على الأمة فيها نجاتها وسلامتها وعصمتها من الفتن، بركة، {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)}

كتاب مبارك، وهكذا كتاب عظيم موصوف بالعظمة، {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87)}[الحجر:87].

ولهذا إذا أعطاك الله القرآن فقد أعطاك شيئا عظيما، استغني به، ففي تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن، أي لم يحسن به صوته، ومن معانيه أن لم يستغني به ويعظمه، فإنه عظيم، ويعتز بما أكرمه الله به، ويستعف ويصون ما أكرمه الله به، فإذا أعطاك الله هذا العظيم فقد أعطاك عظيماً، عظم ما عظم الله، يا أهل القرآن عظموا القرآن العظيم، عظموه في نفوسكم، عظموه في عقيدتكم ودينكم وفي تعاملكم وأخلاقكم وحياتكم كلها، كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وفي هذا الشهر يعطى القرآن القسط العظيم أكثر من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أجود الناس ،على الإطلاق، وكان أجود ما يكون في رمضان.

رمضان هذا شهر الجود ،حين يلقاه جبريل وكان يلقاه جبريل كل ليلة ويدارسه القرآن ، يدارسه، عناية بالقرآن، جبريل عليه السلام يدارسه القرآن كل ليلة من رمضان ،يلقاه لمدارسة القرآن عناية بالقرآن في رمضان زائدة على بقية الشهور والأيام لأنه شهر القرآن نزل فيه، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة، هكذا عظمة في هذا الكتاب، إنه كتاب عزيز وصفه الله بالعزة، ومن معاني ذلك لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه محفوظ، أبدا لا يمكن لأحد أن يدخل في كتاب الله حرفا واحدا فيغير فيه، في ألفاظه، لا يأتيه الباطل حفظه الله:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)} [الحجر:9].

وهكذا في معانيه حفظه الله في أهله الذين يذبون عنه، التأويلات الفاسدة والمنتحلات، فعناية النبي صلى الله عليه وسلم وعناية الأمة بهذا القرآن لأنه حياتهم ونورهم وهدايتهم وصراطهم، ولأن هذا القرآن هو إما قائد وإما سائق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من أخذ القرآن قاده، أي اقتداء به وأخذ به، قاده إلى الجنة، ومن أعرض عنه ساقه إلى النار، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، أما بعد: أيها الناس رحمة من الله علينا معشر المسلمين بهذا القرآن، يجب والله أن تكون عناية المسلمين به هو عنايتهم بحياتهم، هو عناية بمكرومتهم، هو عنايتهم بمجدهم، هو عنايتهم بلقاء ربهم، فإنه لا يلقى الإنسان ربه بغير القرآن إلا كان شقيا، ولا يلقى الإنسان ربه بالقرآن إلا كان الله به حفيا، هذه رحمة من الله، {قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57)}[يونس:57].

وقال الله سبحانه وتعالى:{لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44)}[فصلت:44].

بل فالناس فيه صنفان، صنف مشتفون به حتى في قلوبهم وأبدانهم وحياتهم ودينهم وأوقاتهم وهم في علاج دائم بكتاب الله، حياة دائمة بكتاب الله، فالقرآن شفاء ليس معناه فقط للقلوب، بل والله شفاء للأبدان، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى بعض المرضى أمر أن يُقرأ عليهم القرآن كما في قصة المعوذتين، وأبو سعيد قرأ الفاتحة على ذلك الملدوغ، وغير ذلك فهو شفاء للقلوب وللأبدان، وهو شفاء للأوقات من الضياع، علاج لها من الضياع وحفظ لها من الضياع، وهو شفاء للأعمار من الفتن والهلكة وعلاج لها وحفظ لها من الهلكة، وهو شفاء كذلك أيضا للأخلاق من المساوى والمذمات، المساوى والمذمات التي وقع فيها الجاهلية وأضرابهم، ومن أعرض عن القرآن، شفاء من كل بلاء ،ورحمة من كل سوء، رحمة من الله سبحانه وتعالى بالعباد، وهدى ورحمة للمؤمنين، فيجب علينا الفرح به كما أمر الله به، { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58)} [يونس:58].

الواجب علينا الفرح بهذا الكتاب بهذا القرآن، ولا والله لا غبط إلا فيه،

في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا حسدَ إلا على اثنتين رجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو ينفقُ منه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ورجلٌ آتاه اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ.

وحتى صاحب المال بغير قرآن ما ينفعه نفقته مالم يكن من أهل القرآن، أعاد الفضل كله إلى والخيرية كلها إلى القرآن والعمل به، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه:{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}[سبإ:37].

فمن لم يكن من أهل القرآن لا ماله ينفعه ولا ولده ينفعه ولا جاه ولا منصبه ولا عمره ولا حياته ولا شعره ولا بشره ولا جوارحه، {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)}[الأحقاف:26].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.